86109 – موقفنا من الاستهزاء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

السؤال

كلنا سمع بما قام به الغربيون من الاستهزاء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسخرية منه ، فما هو موقفنا من ذلك ؟ وكيف ندافع عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

لقد ساءنا وساء كل مسلم غيور على دينه ما قام به هؤلاء السفهاء المجرمون من الاستهزاء بنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أفضل من وطئت قدماه الثرى ، وهو سيد الأولين والآخرين صلوات ربي وسلامه عليه .

وهذه الوقاحة ليست غريبة عنهم ، فهم أحق بها وأهلها .

ثم هذه الجريمة النكراء – مع أنها تمزق قلوبنا ، وتملؤها غيظاً وغضباً ، ونود أن نفدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنفسنا – إلا أنها مع ذلك مما نستبشر به بهلاك هؤلاء ، وقرب زوال دولتهم ، قال الله تعالى : (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) الحجر/95 ، قاله تعالى يكفي نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المستهزئين المجرمين ، وقال تعالى : (إِنَّ شَانِئَكَ – أَي : مبغضك – هُوَ الْأَبْتَرُ) الكوثر/3 ، أي : الحقير الذليل المقطوع من كل خير .

وقد كان المسلمون إذا حاصروا أهل حصن واستعصى عليهم ، ثم سمعواهم يقعون في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسبونونه ، يستبشرون بقرب الفتح ، ثم ما هو إلا وقت يسير ، ويأتي الله تعالى بالفتح من عنده انتقاماً لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

"الصارم المسلول" (ص 116-117) .

وشواهد التاريخ كثيرة على هلاك وفضيحة المستهزئين بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم ماذا ينقم هؤلاء من سيد البشر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!

ينقمون منه أنه دعا إلى توحيد الله تعالى ، وهم لا يؤمنون لله بالوحدانية .

ينقمون منه أنه عَظَّمَ ربه تبارك وتعالى ، ونزهه عما يقوله هؤلاء المفترون ، وهم ينسبون إليه صاحبة والولد .

ينقمون منه أنه دعا إلى معالي الأخلاق ، وترك سفاسفها ، ودعا إلى الفضيلة ، وسد كل باب يؤدي إلى الرذيلة ، وهم يريدونها فوضى أخلاقية وجنسية عارمة .

يريدون أن يغرقوا في مستنقع الشهوات والرذيلة ، وقد كان لهم ما أرادوا !

ينقمون منه أنه رسول الله !! والله تعالى هو الذي اصطفاه على الناس برسالته ووحيه .

ودلائل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من أن تحصر .

ألم يسمعوا عن حادثة انشقاق القمر ؟ أم لم يسمعوا عن نبوع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم مرات ومرات ؟

أم لم يسمعوا عن آيته الكبرى ، هذا القرآن الكريم ، كلام رب العالمين ، الذي حفظه الله تعالى فلم تمتد إليه يد العابثين المحرفين ، أما كتبهم المنزلة على أنبيائهم فتلاعبوا بها أيما تلاعب ، (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) البقرة/79 .

بل من أعظم الأدلة على صدق نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بقاء دينه هذه القرون الطويلة ظاهراً منصوراً ، وقد كان أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته دائماً إلى ظهور وعلو على أعدائه ، وحكمة الله تعالى تأبى أن يُمَكَّنَ كاذباً عليه وعلى دينه من العلو في الأرض هذه المدة الطويلة ، بل في كتبهم التي كتبتها علماءهم وحرفوها أن الكذاب (مدعي النبوة) لا يمكن أن يبقى إلا ثلاثين سنة أو نحوها ثم يضمحل أمره .

كما ذكر عن أحد ملوكهم أنه أتى برجل من أهل دينه (نصراني) كان يسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويرميه بالكذب ، فجمع الملك علماء ملته ، وسألهم : كم يبقى الكذاب ؟ فقالوا : كذا وكذا ، ثلاثين سنة ، أو نحوها ، فقال الملك ، وهذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة ، أو ستمائة سنة [يعني : في أيام هذا الملك] ، وهو ظاهر مقبول متبوع ، فكيف يكون هذا كذاباً ؟؟ ثم ضرب عنق ذلك الرجل !!

"شرح العقيدة الأصفهانية" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

ألم يعلموا أن كثيراً من عقلائهم وملوكهم وعلمائهم لما وصلت إليهم دعوة الإسلام بيضاء نقية لم يملكوا إلا الإقرار بصحة هذا الدين ، وعظّموا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكثير منهم أعلن الدخول في الإسلام .

فقد أقر ملك الحبشة النجاشي بذلك ، ودخل في الإسلام .

ولما أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاباً إلى هرقل ملك الروم يدعو فيه إلى الإسلام أقر هرقل بصحة نبوته ، وهم أن يعلن إسلامه وتمنى أن يذهب إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويكون خادماً عنده ، إلا أنه خاف على نفسه من أهل ملته ، وبقي

على الكفر ومات عليه .

ولم يزل الكثير من معاصريهم يعلن ذلك .

1- يقول مايكل هارت في كتابه "الخالدون مئة" ص13 ، وقد جعل على رأس المئة نبينا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يقول :

"لقد اخترت محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول هذه القائمة ... لأن محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي " .

2- برناردشو الإنكليزي ، له مؤلف أسماه (محمد)، وقد أحرقت السلطات البريطانية ، يقول :

" إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، وإن رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصب ، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً ، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنني اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدوًّا للمسيحية ، بل يجب أن يسمّى منقذ البشرية، وفي رأبي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها " .

3- ويقول آن بيزيت :

" من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء " .

4- شبرك النمساوي :

" إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ إنه رغم أميته، استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع، سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون ، إذا توصلنا إلى قمته " .

5- الدكتور زويمر (مستشرق كندي) :

" إن محمداً كان مصلحاً قديراً ، وبليغاً فصيحاً ، وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء " .

6- الفيلسوف الإنكليزي توماس كارليل الحائز على جائزة نوبل يقول في كتابه " الأبطال " :

" لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً خداع مزور .

وقد رأينا طول حياته راسخ المبدأ ، صادق العزم ، كريماً بَرّاً ، رؤوفاً ، تقياً ، فاضلاً ، حراً ، رجلاً ، شديد الجد ، مخلصاً ، وهو مع ذلك سهل الجانب ، لِين العريكة ، جم البشر والطلاقة ، حميد العشرة ، حلو الإيناس ، بل ربما مازح وداعب .

كان عادلاً ، صادق النية ، ذكي اللب ، شهم الفؤاد ، ذكياً ، سريع الخاطر ، كأنما بين جنبه مصابيح كل ليل بهيم ، ممتلئاً نوراً ، رجلاً عظيماً بفطرته ، لم تتقفه مدرسة ، ولا هذبه معلم ، وهو غني عن ذلك" .

7- ويقول جوته الأديب الألماني : "إننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا ، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي محمد ، وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد" .

فإن كان ذلك كذلك فإن من واجب العالم كله - ولا محيص لهم عن ذلك - أن يجعل عظمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخلق جميعاً فوق كل عظمة، وفضله فوق كل فضل، وتقديره أكبر من كل تقدير ، ويجب على العالم أجمع أن يؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خاتم أنبياء الله الكرام .

ونحن نغتنم هذه الفرصة ندعو هؤلاء إلى الإسلام ، فإن ما اقترفته أيديهم الآثمة لا يمحوه إلا الإسلام ، فإن عاندوا وكابروا وأصروا على ما هم عليه فليبشروا بعذاب النار خالدين فيها أبداً ، قال الله تعالى : (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) المائدة/72 ، وقال تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران/85 .

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) رواه مسلم (153) .

ثانياً :

والله تعالى حكيم لا يقدر شيئاً وهو شر محض ، بل لا بد أن يكون فيه الخير لعباده المؤمنين ، مهما ظهر للناس أنه شر ، وصدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائل : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) رواه مسلم (2999) .

وفي حادثة الإفك - وهي معروفة - قال الله تعالى : (لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) النور/11 .

وهذه جملة من المصالح المترتبة على هذه الجريمة الآثمة :

1 . ظهور ما تنطوي عليه قلوب هؤلاء المجرمين من الحقد والكره للمسلمين ، حتى وإن تظاهروا في كثير من الأحيان أنهم

مسالمون ، (قَدْ بَدَتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) آل عمران/118 .

2. انكشاف تزوير الغرب في معاييرهم ، فهنا يحتجون بحرية الرأي ، وكل عاقل يعلم أن حرية الرأي المزعومة تقف عند المساس بحرمة الآخرين والاعتداء عليهم ، وهم كاذبون في دعواهم حرية الرأي ، فكلنا يذكر ما حدث من سنوات قريبة لما أقدمت إحدى الحكومات على تكسير أوثان وأصنام عندها ، أقاموا الدنيا وما أقعدوها !! فأين كانت حرية الرأي المزعومة؟! فلماذا لم يعتبروا هذا أيضاً من حرية الرأي؟!

3. بيان بطلان ما يدعو إليه بعض المتغربين من أبناء جلدتنا : (لا تقولوا على غير المسلمين كفار ، بل قولوا " الآخر " حتى لا تشعلوا نار الفتنة بيننا وبينهم) .

ألا فليعلم الجميع من هو الذي يكره الآخر ، ولا يراعي حرمة ويعلن الحرب عليه كلما سنحت له الفرصة .

4. كذب دعاويهم التي ملأوا بها الدنيا من (حوار الحضارات) القائم على احترام الآخر ، وعدم الاعتداء عليه !! فأى حوار يريدون ؟ وأي احترام يزعمون ؟ إنهم يريدون أن نحترمهم ونوقرهم ونعظمهم ، بل ونركع لهم ونسجد ، أما هم فلا يزدادون منا إلا استهزاءً وسخريةً وظلماً!!!

5. إحياء جذوة الإيمان في قلوب المسلمين ، فقد رأينا ردة فعل المسلمين دالة على رسوخ الإيمان في قلوبهم ، ومدى حبهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى من عنده تفريط في بعض واجبات الدين ، ثار دفاعاً عن رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

6. توحيد صفوف المسلمين ، فرأينا – ولله الحمد – تكاتف المسلمين وتبنيهم لنفس المواقف ، وإن اختلفت البلدان ، واللغات .

7. ظهور اتحاد الغرب على الإسلام ، فما أن استنجدت تلك الدولة باتحادهم حتى وقفوا جميعاً بجانبها ، وتواصى المجرمون على نشر هذه الصور في صحافتهم ، حتى يعلموا المسلمين أنهم جميعاً في خندق واحد ، وأنا لا نستطيع مواجهتهم جميعاً .

8. حرص بعض المسلمين على دعوة هؤلاء إلى الإسلام ، وبيان الصورة المشرقة الحقيقية لهذا الدين ، فقد رأينا تسابق المسلمين إلى طباعة الكتب بلغة هؤلاء حتى نزيل الغشاوة من على أعينهم ، لعلمهم يبصرون .

9. ظهور جدوى تلك المقاطعة التي قام بها المسلمون لمنتجات المعتدين على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم تتحرك دولتهم لمطالب رسمية أو سياسية ، ولو كانت على أعلى المستويات ، ولكن لم تمض على المقاطعة إلا أيام قليلة حتى هبت الصحيفة الأثمة ورئيس تحريرها للاعتذار ، وتغير أسلوب كلامهم ، فلان شيئاً ما مع المسلمين .

وبهذا يظهر سلاح جديد للمسلمين يمكن أن يستخدموه للتأثير على أعدائهم ، وإلحاق الضرر بهم .

10. إرسال رسالة واضحة للغرب ، أننا – نحن المسلمين – لا نرضى أبداً أن يمس ديننا أو ينال منه ، أو يعتدى على رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فكلنا فداء له بأبي هو وأمي .

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم فداء

ثالثاً :

وأما دورنا في هذا .

1. فالواجب علينا الإنكار بشدة ، كلُّ حسب ما يستطيع ، بإرسال رسالة أو مقالة ، أو اتصال هاتفي ، بحكومتهم وخارجيتهم وصحافتهم .
2. مطالبة هؤلاء بالاعتذار الجاد الواضح ، لا الخداع وتبرير الجريمة الذي يسمونه اعتذاراً ، فلا نريد اعتذاراً لإهانة المسلمين ، وإنما نريد إقراراً بالخطأ واعتذاراً عن ذلك الخطأ .
3. مطالبتهم بمعاقبة المجرمين على جرمهم .
4. ومطالبتهم أيضاً بأن تكف حكوماتهم عن العداء للإسلام والمسلمين .
5. ترجمة الكتب التي تدعو إلى الإسلام بلغة هؤلاء ، والكتب الذي تعرّف بالإسلام ونبيّ الإسلام ، وبيان سيرته الحسنة العطرة .
6. استئجار ساعات لبرامج في المحطات الإذاعية والتلفزيونية تدافع عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتذب عن جنابه ، ويستضاف فيها ذوو القدرة والرسوخ ، والدراية بمخاطبة العقلية الغربية بإقناع ، وهم بحمد الله كثير .
7. كتابة المقالات القوية الرصينة لتنتشر في المجالات والصحف ومواقع الإنترنت باللغات المتنوعة .
8. وأما مقاطعة منتجاتهم ، فإذا كانت المقاطعة لها تأثير عليهم – وهذا هو الواقع – فلماذا لا نقاطعهم ونبحث عن شركات بديلة يمتلكها مسلمون ؟
9. التصدي لهذه الحملة الشرسة التي تنال من الإسلام ونبيّه ، ببيان حسن الإسلام وموافقته للعقول الصريحة ، والرد على شبّهات المجرمين .
10. التمسك بالسنة والتزام هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل شيء والصبر على ذلك (وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُّضًا كَيْدُهُمْ شَيْئاً) آل عمران/120 .

11. الحرص على دعوة هؤلاء ، فإننا وإن كنا ننظر إليهم بعين الغضب والسخط والغيط ، إلا أننا أيضاً ننظر إليهم بعين الشفقة عليهم ، فهم عما قريب سيموتون ويكونون من أهل النار إن ماتوا على ذلك فندعوهم إلى الإسلام والنجاة رحمة بهم وشفقة عليهم .

ونسأل الله تعالى أن يعلي دينه ، وينصر أوليائه ، ويذل أعداءه ، (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

والله أعلم .